كلية الآداب
قسم التاريخ

# سياسة مصر تجاه منطقة القرن الأفريقي
# ١٩٤٥- ١٩٨١

رسالة مقدمة للحصول على درجة الدكتوراه في الآداب
فرع التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد

**محمد عبد المؤمن محمد عبد الغنى**

إشراف

**الأستاذ الدكتور جمال زكريا قاسم**

أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر بجامعة عين شمس

القاهرة
١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م

**Ain- Shams University**
**Faculty of Arts**
**History Department**

# Egyptian Policy toward the Horn of Africa Region

## ١٩٤٥ - ١٩٨١

**A Thesis Submitted for obtaining**
**Ph.D. of Arts Degree in**
**Modern and Contemporary History**

**by**

**Mohamed Abdelmomen Mohamed**

**Under the Supervision of**

**Prof. Gamal Zakaria Kassem**

**Professer of**
**Modern and Contemporary History, Ain- Shams University**

Cairo
١٤٢٨/٢٠٠٧

# شكر وتقدير

لأستاذي الأستاذ الدكتور جمال زكريا قاسم ....

و لوالدي العزيزين....

بارك الله فيهم وأثابهم عني خير الجزاء.

## منطقة القرن الأفريقي وأهميتها الاستراتيجية

يقصد بالقرن الأفريقي أساساً على خريطة القارة الأفريقية كل من الصومال وأثيوبيا وجيبوتي كوحدات سياسية قائمة تشكل رقعة استراتيجية [١]، وعلى هذا تتكون منطقة القرن الأفريقي جغرافيا من الهضبة الأثيوبية والهضبة الصومالية ويفصل بينهما صحراء الأوجادين ووادي الهود الذي يمتد شمالاً بمحاذاة منخفض الدناقل الصحراوي على البحر الأحمر ، حيث تنساب الهضبة الأثيوبية في الجنوب والجنوب الشرقي تدريجياً باتجاه الصومال وكينيا ، أما الهضبة الصومالية فتمتد على شكل مثلث غير منتظم قاعدته عند نهر تانا في الجنوب الشرقي وضلعاه ساحل خليج عدن وساحل المحيط الهندي ويحدها من الجنوب نهرا جوبا وشبيلي اللذان ينبعان من الهضبة الأثيوبية باتجاه المحيط الهندي [٢].

ويتكون سكان القرن الأفريقي من قوميات وسلالات عدة ، فينتمي ٩٥٪ من الشعب الصومالي إلى السلالة الصومالية وهي فرع خاص من الجنس القوقازي ، أما الباقي فيتوزع بين عدة سلالات مختلفة أهمها سلالة البانتو ، وأهم القبائل الصومالية فهي الدير , الاسحاق ، الداروط ، الهاوية ، الرحنوين ، وديجل [٣] , والصوماليون يشكلون شعباً واحداً له تراثه ولغته المتميزة ويدين كله بالإسلام [٤]. أما أثيوبيا فتضم خليطاً واسعاً من القوميات والشعوب واللغات والأديان ، فتضم ثلاث مجموعات رئيسية هي الأماهرة والتيجري والجالا ، وينتمي الأماهرة والتيجري إلى أصل سام ويتحدثون لغة سامية حيث يعيش الأماهرة في منطقة المرتفعات الوسطى ، بينما يسكن التيجري المرتفعات الشرقية وأغلبية هاتين الجماعتين يدينون بالمسيحية . أما الجالا فهم شعب حامي ينقسم بين مسلمين ووثنين ومسيحيين ، وحسب تقدير الجالا إنهم يمثلون حوالي ٦٠٪ من تعداد السكان في أثيوبيا ، ولديهم الكثير من الأسباب التي تدعوهم لمعارضة الأرستقراطية المسيحية التي طالما تعدت عليهم وعلى أراضيهم وممتلكاتهم[٥] . كما يوجد في أثيوبيا نحو عشرين لغة وسبعين لهجة مختلفة ، وأيضا توجد بها أقلية ضئيلة من السكان تدين باليهودية. ولم يكن

---

[١] يقصد الجغرافيون ومعهم علماء الأجناس بالقرن الأفريقي الأرض التي يسكنها الصوماليون وإن تعددت أوطانهم في الصومال أو أثيوبيا أو كينيا أو جيبوتي وهو بهذا التعريف يغطي أرض دولة الصومال ونحو نصف جيبوتي وخمس كلا من أثيوبيا وكينيا ، أحمد يوسف القرعي ، الخريطة السياسية للقرن الأفريقي ، السياسة الدولية ، العدد ٥٤ ، أكتوبر ١٩٧٨ ، ص ٨.

[٢] ألفت التهامي ، الجذور الاجتماعية للصراع في القرن الأفريقي ، السياسة الدولية ، العدد ٥٤ ، أكتوبر ١٩٧٨ ، ص ١٧.

[٣] محمد معلم علي حاشي ، سياسات جمهورية الصومال تجاه مشروع الصومال الكبير ١٩٦٠-١٩٩١ ، رسالة ماجستير غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٩٥ ، ص ١٦-١٨.

[٤] ألفت التهامي ، المرجع السابق ، ص ١٩.

[٥] نفسه ، ص ١٨-١٩.

الحال في إريتريا يتخلف كثيرا إذ يوجد بها سبع مجموعات عرقية أهمها التيجرينيون والتجريون [١] ، كما يتحدث سكانها ثمان لهجات محلية أهمها التجرينية والتجرية ويتحدثهما ٨٠٪ بخلاف اللغة العربية لغة الثقافة للمسلمين الإريتريين [٢]. في حين ينقسم سكان جيبوتي بين العيسى الصوماليين والعفر من الدناقل[٣].

ونتيجة لهذا التكوين المعقد سواء من الناحية العرقية أو من الناحية الدينية ، شهدت منطقة القرن الأفريقي صراعات محلية خلال فترات تاريخية متعددة ارتكزت على أسباب دينية واقتصادية ، ولم تخرج الصراعات التي نشبت بين الممالك الإسلامية التي انتشرت فيما حول الهضبة الحبشية عن إطارها المحلي ، نتيجة لأن المسلمين لم يعتبروا الحبشة أرض جهاد بسبب موقف النجاشي من هجرة المسلمين الأولى إلى الحبشة ، غير أن تدخل أطراف خارجية أكسب تلك الصراعات صفة دينية بصورة أكبر ، فقد عمل البرتغاليون عقب حركة الكشوف الجغرافية على التحالف مع أثيوبيا المسيحية بهدف ضرب مصر ، حتى وصل بهم الأمر إلى محاولة العبث بالمقدسات الإسلامية لولا جهود المماليك التي حالت دون إداركهم ذلك الهدف ، ثم أعقب ذلك ثورة بعض الممالك الإسلامية فظهرت دولة الإمام أحمد بن إبراهيم [٤] , والذي وجه ضربات قوية للحبشة كان من نتائجها دخول الكثير من الأحباش في الإسلام ، وهو ما استغلته المصادر الغربية وأغلب من كتبها من البرتغاليين الذين اتصفوا بالتعصب والكراهية للإسلام بهدف إثارة التعصب ضد الإسلام وأهله عن طريق تصوير الدمار الذي لحق بالكنائس والتنكيل بالمسيحيين وتدمير القرى بصورة غير حقيقية [٥].

وأضيفت إلى تلك الصراعات أسبابا جديدة في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وما بعده ، حيث تسبب التنافس الاستعماري بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا في اقتسام

---

[١] أمال إسماعيل شاور ، إرتريا : دراسة جغرافية ، عبد الملك عودة (محررا) إرتريا دراسة مسحية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٩٥، ص ١٩.

[٢] عثمان صالح سبي ، تاريخ إريتريا ، دار الكنوز الأدبية ن بيروت ١٩٨٤ ، ص ٢٢٦-٢٢٩.

[٣] ماجدة محمود الجندي ، أبعاد الصراع في القرن الأفريقي : رؤية الأطراف المحلية ، مجلة دراسات أفريقية ، العدد الأول ، أبريل ١٩٧٩ ، ص ١٣٨.

[٤] أرجع البعض أن الدولة التي أقامها الإمام أحمد بن إبراهيم وحروبه ضد الأحباش والتي استمرت لمدة قصيرة لم تتجاوز اثني عشر عاما ، هي السبب الرئيسي للعداء الديني في أثيوبيا بين المسلمين والمسيحيين طوال القرون التالية (للمزيد ارجع إلى : زاهر رياض ، الإسلام في أثيوبيا ، الطبعة الأولى ، دار المعرفة ، القاهرة ١٩٦٤، ص ٣٢٦) ، ولكن الحقائق تثبت عكس ذلك فعداء الأحباش للإسلام يسبق دولة الإمام أحمد بن إبراهيم بكثير بدليل المصير الذي لاقاه النجاشي بعد أن أعلن إسلامه ، ثم محاولات الصليبين ومن بعدهم البرتغاليين للتحالف مع الأحباش لضرب القوى الإسلامية وخاصة في مصر.

[٥] جمال زكريا قاسم ، الصراعات المحلية والدولية في البحر الأحمر في النصف الأول من القرن السادس عشر ، أحمد عزت عبد الكريم (محرراً) ، البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة ، القاهرة ١٩٨٠ ، ص ٢٢٧-٢٣٧.

منطقة القرن الأفريقي دون أدنى مراعاة لوحدة شعوب تلك المنطقة والروابط العرقية والدينية لأهلها فتوزع الصوماليون بين صوماليات عديدة بريطاني وإيطالي وفرنسي وكيني ، ثم انضمت إليهم أثيوبيا هي الأخرى للتوسع على حساب جيرانها سواء من خلال القوة أو بالتعاون مع تلك القوى الاستعمارية فنجحت في السيطرة على شعوب أخرى مستخدمة ادعاءات استعمارية واجتذاب تعاطف القوى الأوروبية بادعائها أنها جزيرة مسيحية في وسط بحر من المسلمين الكفار.

والقرن الأفريقي يتمتع بمزايا استراتيجية متعددة ، فله شريط ساحلي طويل على البحر الأحمر ، وجزء من هذا الساحل يشكل أحد جانبي مضيق باب المندب وهو الممر الضيق بين البحر الأحمر وخليج عدن الذي ينفتح على المحيط الهندي ، حيث الطريق إلى الخليج العربي أو إلى رأس الرجاء الصالح . وقد زادت أهمية منطقة القرن الأفريقي بعد افتتاح قناة السويس في عام ١٨٦٩ حيث تحول البحر الأحمر إلى شريان ملاحي دولي تصارعت الدول الاستعمارية لاكتساب مواقع على سواحله تتيح لها التحكم في مداخله وتأمين حركة سفنها [١] ، فشهدت منطقة القرن الأفريقي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية صراعاً بين بريطانيا وفرنسا وإيطاليا لاقتسامها ، وبعد الحرب العالمية الثانية تضاعفت أهمية البحر الأحمر كممر بحري هام لنقل نفط الخليج بعد أن تزايدت مساهمة منطقة الخليج في إنتاج النفط العالمي وتزايدت تبعاً لذلك أهمية مداخل البحر الأحمر والسواحل المتحكمة فيها [٢] ، ولكن تلك الأهمية لم تظهر بصورة جلية نتيجة سيطرة الولايات المتحدة الأمريكية البحرية على المحيطات ونفوذها المهيمن في الخليج العربي ، ولكن الوضع تغير بعد التحول الذي طرأ على سياسة مصر بعد ثورة يوليو ١٩٥٢ واتجاهها إلى تدعيم مصالحها في منطقة القرن الأفريقي ، ودعم الصومال لتحقيق وحدتها ، وتزامن ذلك مع تدعيم علاقاتها بالاتحاد السوفيتي . ثم ازداد ذلك التنافس في منتصف الستينيات بعد أن غير الاتحاد السوفيتي سياسته البحرية وانتهج سياسة جديدة اعتمدت على تزويد قواته البحرية بالقدرة على الانتشار في المحيطات وعدم الاقتصار على الدفاع عن السواحل السوفيتية كما في السابق ، بالإضافة إلى تزايد نفوذه في الصومال بعد انقلاب سياد بري في عام ١٩٦٩ ثم في أثيوبيا بعد الإطاحة بالإمبراطور هيلاسلاسي في عام ١٩٧٤ [٣].

---

(١) Albright, D., E., The Horn of Africa and Arab-Israeli Conflict, in: Freedman, R., World Politics and the Arab-Israeli Conflict, New York ١٩٧٩, p. ١٤٧.

(٢) Mikesell, R., and Chenery, H., Arabian Oil, The University of North Carolina Press, New York ١٩٤٩, p. ١٧٧.

(٣) Schwab, P., Cold War on the Horn of Africa In: African Affairs, Vol. ٧٧, No. ٣٠٦, January ١٩٧٨, p.٨.

وللقرن الأفريقي أهمية كبرى لمصر فهو من الناحية الجغرافية يجاور السودان الذي كان يشكل مع مصر وحدة واحدة لبعض الوقت ، ولا يزال حتى الوقت الحاضر يمثل عمقاً استراتيجيا لها ، وبالتالي فإن مصر تهتم بكل ما يحدث من تأثيرات في القرن الأفريقي على السودان.

كما أن للقرن الأفريقي أهمية استراتيجية كبري لمصر تتمثل في مياه نهر النيل شريان الحياة لها وللسودان ، حيث أن معظم المياه التي تصلهما تأتي من منابع النيل في المرتفعات الأثيوبية ، إذ تتركز أمطارها الغزيرة في فصل الصيف ، فيبلغ معدل سقوط الأمطار عليها حوالي ١٨٠٠ متر مكعب لكل كم٢ سنوياً بينما تصل إلى ٢٠٠ متر مكعب لكل كم٢ عند الخرطوم . ويقدر جملة ما يهبط على أثيوبيا من الأمطار بحوالي ٤٨٠ مليار متر مكعب يذهب نصفها إلى البحر نتيجة لطبيعة أثيوبيا الجبلية حيث يشقها الأخدود الأثيوبي إلى قسمين الجزء الشرقي ويميل ناحية الجنوب والجنوب الشرقي فتنصرف مياهه إلى المحيط الهندي ، أما الجزء الغربي وتقع به المرتفعات الأثيوبية فتنصرف مياهه إلى النيل [١].

ويتكون فيضان منابع الهضبة الأثيوبية من ثلاثة روافد رئيسية تتميز بارتفاع منسوب المياه فيها خلال فصل الصيف وانخفاضه جداً خلال فصل الشتاء. وأهم هذه الروافد النيل الأزرق الذي يستجمع مياهه من عدد من الأنهار التي تنبع من جبال الهضبة الأثيوبية ، كما أنه يستجمع مياهه من بحيرة تانا التي تقع على ارتفاع ستة آلاف قدم فوق سطح البحر [٢] ، ثم يواصل اندفاعه في اتجاه الحدود السودانية قاطعا ٩٦٠ كم داخل أثيوبيا ذاتها حتى يلتقي بالنيل الأبيض بعد أن يقطع حوالي ٥٧٠ كم أخرى داخل السودان [٣]. ويبلغ مقدار ما يمد به النيل سنوياً حوالي ٥٢ مليار متر مكعب من المياه [٤].

وثاني هذه الروافد هو نهر عطبرة الذي ينبع هو أيضا من المرتفعات الأثيوبية بالقرب من مقاطعة جوندر شمال بحيرة تانا [٥]، ويبلغ مقدار ما يمد به النيل سنوياً حوالي

---

[١] رشدي سعيد ، نهر النيل : نشأته واستخدام مياهه في الماضي والمستقبل ، الطبعة الأولى ، دار الهلال ، القاهرة ص ٣٠١,٢٤٥.

[٢] يوسف كرم الله عبد الصمد ، العلاقات السودانية الأثيوبية ١٩٥٦ – ١٩٧٤ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ٢٠٠٢ ، ص ٨٥.

[٣] Kendie, D., Egypt and the Hydro-politics of the Blue Nile River, in: Northeast Africa Studies ٦. ١-٢, ١٩٩٩, p. ١٤٦.

[٤] محمد عبد الغني سعودي ، النيل : دراسة في السياسة المائية ، أسامة الغزالي حرب (محرراً) ، العلاقات المصرية السودانية بين الماضي والحضر والمستقبل ، مركز البحوث والدراسات السياسية ، كلية الاقتصاد والعلوم السياسية ، القاهرة ١٩٩٠ ، ص ٣٢١.

[٥] يوسف كرم الله عبد الصمد ، المرجع السابق ، ص ٨٦.

١٢ مليار متر مكعب من المياه [١]. أما الثالث فهو نهر السوباط (فرع نهر البارو) وهو يمد النيل بحوالي ١٣,٥ مليار متر مكعب من المياه سنوياً [٢]، وبذلك يبلغ مجموع ما تقدمه منابع أثيوبيا من المياه لنهر النيل حوالي ٧٧,٥ مليار متر مكعب يفقد جزءا منها خلال الطريق فتصل كمية المياه إلى حوالي ٧٠ مليار متر مكعب تقريباً أي ما يعادل ٨٤ ٪ من جملة المياه الواردة عند أسوان[٣].

وتعتمد مصر اعتمادا أساسياً على مياه النيل على عكس أثيوبيا التي يفوق ما يتوفر لها من المطر والمياه الجوفية ما يتوفر لمصر من جميع مصادر المياه والبيان التالي [٤] يوضح نصيب كل من مصر وأثيوبيا من المياه مقدرة بالمليار متر مكعب:

| | أمطار | أنهار | مياه جوفية | جملة |
|---|---|---|---|---|
| مصر | ١,٥ | ٥٥,٥ | ٠,٥ | ٥٧,٠٠ |
| أثيوبيا | ٤٠,٠٠ | ٩٠,٠٠ | ٢٠,٠٠ | ١٥٠,٠٠ |

ولذلك فإن معظم الأراضي الزراعية في مصر تعتمد في زراعتها على مياه النيل ، في حين أن أثيوبيا تعتمد في زراعتها على مياه الأمطار وبقدر ضئيل جداً على مياه الانهار والبيان [٥]التالي يوضح مساحة الأراضي المزروعة فيهما مقدرة بالألف كم مربع:

| | ري دائم | بالإمطار | الجملة |
|---|---|---|---|
| مصر | ٥١ | ١ | ٥٢ |
| أثيوبيا | ١,٦ | ٦٥ | ٦٦,٦ |

## الوجود المصري في منطقة القرن الأفريقي

اتجهت مصر في عهد محمد علي إلى الاهتمام بموانئ البحر الأحمر نتيجة لاتجاه الأطماع الاستعمارية إليها وإهمال الدولة العثمانية صاحبة السيادة عليها لها لانشغالها بمشاكلها في أوروبا [٦]، فحاول محمد علي بعد فتح السودان تأمين المداخل الجنوبية للبحر الأحمر ، فوصلت قواته إلى منطقة سبدرات بمديرية أجوردات الإريترية حالياً ، ولكنه أضطر أمام التدخل البريطاني إلى العدول عن مهاجمة الحبشة مباشرة واكتفى بإرسال قوة احتلت مصوع في عام ١٨٢٦ لكي تكون الخطوة الأولى لبسط النفوذ

---

[١] محمد عبد الغني سعودي ، المرجع السابق ، ص ٣٢٤.

[٢] Kendie, D., op. cit., p. ١٤٧.

[٣] محمد عبد الغني سعودي ، المرجع السابق ، ص ٣٢٦.

[٤] هذا البيان نقلا عن : رشدي سعيد ، المرجع السابق ، ص ٣١٠.

[٥] نفسه ، ص ٣١١.

[٦] شوقي عطا الله الجمل ، سياسة مصر واستراتيجيتها في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، أحمد عزت عبد الكريم (محرراً) ، المرجع السابق ، القاهرة ١٩٨٠، ص ٣٩٦.

المصري على ساحل البحر الأحمر الأفريقي كله [١]، وفي ذات الوقت كانت الحبشة تتصل ببريطانيا للحصول على مساعدتها لكي تتمكن من الاستيلاء على ميناء مصوع وتمنحه لها أو على الأقل تحتفظ بريطانيا به لنفسها حتى تضمن حرية مرور تجارتها ونقل الأسلحة إليها [٢]. وحين امتد النفوذ المصري في الحجاز وآلت ولاية جدة لمحمد علي أصبحت "ولاية الحبش" - وهو الاسم الذي كان يطلق على الموانئ الواقعة على ساحل البحر الأحمر الأفريقي - العثمانية التابعة لها خاضعة له [٣].

وكان عام ١٨٣٧ بداية التحرك الحقيقي لمحاولة محمد علي التوسع في أثيوبيا ، ففي بداية هذا العام أرسل قوة محدودة من المشاة إلى منطقة القلابات ولكنها انسحبت بعد فترة وجيزة ، ثم تقدمت قوة مصرية أخري في مايو ١٨٣٧ باتجاه إقليم جوندر ثم انسحبت عائدة إلى القلابات غير أنها تقابلت مع جيش حبشي بقيادة الرأس كينفو Kinfu في منطقة مفتوحة لا تصلح للدفاع فقتل من المصريين عددا كبيرا ، وهدد القائد الحبشي خورشيد باشا والي السودان بمهاجمة مناطق النفوذ المصرية بجيوش ضخمة إذا تكررت محاولة القوات المصرية التوغل داخل أثيوبيا [٤] ، وزاد الأحباش على ذلك بالقيام بتأليب بعض الجهات المجاورة لهم من السودان للخروج على الحكومة المصرية وإعلان العصيان عليها ، بل ومطالبة بعض الأقاليم الخاضعة للسيادة المصرية بدفع إتاوات لهم ، فما كان من الحكومة المصرية أمام كل ذلك إلا أن أمرت واليها على السودان بأن يعد جيشاً لمطاردة الأحباش [٥] ، كما أرسلت قوة مصرية أخرى بقيادة أحمد باشا زوج ابنة محمد علي إلى السودان في سبتمبر ١٨٣٧، وهو ما اعتبره قناصل الدول الأوروبية في مصر بداية لغزو الحبشة ، فقام القنصل البريطاني بإبلاغ محمد علي برغبة بلاده في الحفاظ على استقلال أثيوبيا المسيحية واضطر محمد على تحت ضغط بريطانيا أن يعلن عدم نيته فتح الحبشة مطلقاً [٦]، ولكنه أعلن في ذات الوقت أنه ينوي فرض سلطته على المناطق التي تسكنها قبائل مسلمة التي تهددها غارات أعدائها من المناطق المسيحية .وفي

---

[١] السيد رجب حراز ، الأصول التاريخية للمشكلة الإريترية ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧٧، ص ١١.

[٢] Abir, M., The Origins of the Ethiopian – Egyptian Border Problem in the Nineteen century, in : The Journal of African History , Vol. ٨, No., ٣, ١٩٦٧, p. ٤٤٧.

[٣] شوقي عطا الله الجمل ، سياسة مصر واستراتيجيتها في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ص ٣٩٧.

[٤] Abir, M., op. cit., p. ٤٥٢.

[٥] أحمد صالح عمر ، الحكم المصري في مصوع وملحقاتها (١٨٦٥-١٨٨٥) ، رسالة ماجستير غير منشورة ، كلية اللغة العربية ، جامعة الأزهر ، القاهرة ١٩٨٥، ص ١٨٨.

[٦] علي عبده إبراهيم ، مصر وإفريقية في العصر الحديث ، دار القلم ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١٣٦.

ذات الوقت كان الرأس ويبي Wube يسعى لدى بريطانيا طالباً مساعداتها ، فعرض عليها توقيع معاهدة صداقة لمنع المصريين من دخول أثيوبيا ، كما سعى لدى الفرنسيين لنفس الغرض ، ولكن مصر تراجعت عن متابعة إعداد الجيش وسحبت القوات الموجودة على مناطق الحدود مع إقليم جوندر[١].

وفي أعقاب تسوية لندن ١٨٤٠ انسحبت مصر من موانئ البحر الأحمر الأفريقية تحت ضغط الدول الأوروبية وعلى رأسها بريطانيا [٢]. ولكن محمد علي بعد نجاحه في ضم إقليم التاكة أو كسلا بالسودان عام ١٨٤٠ عاد للتطلع مرة أخرى إلى مصوع وسواكن بعد أن شعر بالحاجة إلى منفذ بحري لهذا الإقليم لتصدير منتجات السودان الأوسط ، فعرض على الباب العالي ضمهما لإقليم التاكة مع زيادة الجمارك السنوية لوالي جدة ، فوافق الباب العالي في عام ١٨٤٦ على طلبه خصوصاً وأن رفضه كان من الممكن أن يجعل الحفاظ على هذه المناطق أمراً صعباً في ظل تطلع الحبشة للاستيلاء عليهما[٣]، خاصة وأنها لم تكتف بانسحاب مصر من تلك المناطق وحاولت استغلال توتر العلاقات بين محمد علي والدولة العثمانية حتى تتمكن من انتزاع حقوق السيادة العثمانية على ساحل البحر الأحمر الأفريقي لنفسها ، فأكثرت من غاراتها على ولاية الحبش [٤].

ولم تقتصر تطلعات مصر على ضم مصوع وسواكن ، إذ كلفت الحكومة المصرية حاكم مصوع المصري في مارس ١٨٤٧ بعمل إحصاء تقريبي للقبائل المنتشرة على طول الساحل بين سواكن وبربره توطئة لضم ساحل البحر الأحمر الأفريقي حتى رأس جردافوي لمصر ، ولكن وفاة محمد علي حالت دون تنفيذ ذلك [٥].

ومع تولي عباس الأول ولاية مصر في عام ١٨٤٨ تغيرت الأمور مرة أخري إذ كان عباس مقتنعا بعدم قدرة مصر على الاحتفاظ بسواكن ومصوع لعدة أسباب منها أن احتفاظ مصر بهما يكلفها الكثير من الجهد والمال وعدم جدوى عمليات مصر العسكرية في شرق أفريقيا بالإضافة إلى حرصه على تجنب الدخول في صراعات مع الحبشة فقرر إعادتهما إلى الدولة العثمانية في عام ١٨٤٩ [٦].

ولم تسع مصر في عهد سعيد باشا لاستعادة نفوذها في تلك المناطق ، وحاولت الحفاظ على علاقات جيدة مع الحبشة حتى تتجنب التورط في حروب معها ، إلا أن

---

[١] Abir, M., op. cit., p. ٤٥٤.

[٢] شوقي عطا الله الجمل ، سياسة مصر واستراتيجيتها في البحر الأحمر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، ص ٣٩٧.

[٣] السيد رجب حراز ، الأصول التاريخية للمشكلة الإريترية ، ص ١٢.

[٤] علي عبده إبراهيم , المرجع السابق ، ص ١٣٦.

[٥] السيد رجب حراز ، الأصول التاريخية للمشكلة الإريترية ، ١٣.

[٦] أحمد صالح عمر ، المرجع السابق ، ص ١٩٠.

الأمور تدهورت بعد تولي الإمبراطور تيودور عرش الحبشة في عام ١٨٥٥ ، فقد أغرته قوته بالإغارة على أطراف السودان المصري بدافع إعادة أمجاد الإمبراطورية الحبشية وأيضا لمثول محاولة محمد علي غزو الحبشة في ذهنه [١] ، وقد شجعته الدول الأوروبية على ذلك كما أيده القنصل البريطاني في الحبشة [٢].

وإزاء هذه التصرفات العدوانية قرر سعيد باشا القيام بزيارة السودان وترتيب أوضاعها ، فأمر حكمدارها في نوفمبر ١٨٥٦ بأن يجمع كافة القوات المصرية الموجودة في السودان في الخرطوم بكامل أسلحتها ، كما أرسل البطريرك المصري كيرلس الرابع إلى الحبشة لتهدئة الأمور مع تيودور نظراً لمكانة الكنيسة المصرية لدى الأحباش ، ولكن تيودور قبض على كيرلس بعد أن علم بتجمع القوات المصرية في الخرطوم وأساء معاملته [٣].

وعلى الرغم من ذلك كان سعيد حريصاً على عدم تصعيد الأمور مع الحبشة فلم يستجب لمطالب قادة الجيش المصري بتجريد حملة ضد تيودور ، وأرسل له في يناير ١٨٥٧ رسالة وضح فيها مقصده من زيارة السودان ، فأطلق تيودور سراح كيرلس ولكنه أبقاه في الحبشة ولم يسمح له بالعودة إلى مصر إلا بعد أن راسله سعيد مرة أخرى فأعاده في نهاية عام ١٨٥٧ [٤].

ومع تولي إسماعيل حكم مصر بدأت مرحلة جديدة في سياسة مصر تجاه منطقة القرن الأفريقي ، فقد كان لدى إسماعيل الطموح لتكوين إمبراطورية مصرية في أفريقيا بعيداً عن اتفاقية لندن ١٨٤٠ التي قلصت حجم الدولة المصرية ، في ذات الوقت كان التوتر يزداد بين الدولة العثمانية والحبشة ، فقد نشط موظفو الدولة العثمانية للاستحواذ على ساحل القرن الأفريقي ولكن بدون استخدام القوة فخلال الفترة من ١٨٦١-١٨٦٢ رفع العلم العثماني على المنطقة الواقعة على طول الساحل من زولا إلى أيث وعلى جزر دهلك وجزيرة ديسني وغيرها. وهو ما أثار غضب تيودور بالطبع فأعلن في أكتوبر ١٨٦٢ أن هدفه هو محاربة الأتراك لأن دينه وبلاده معرضان للخطر [٥] . وكان تيودور شديد التطرف ضد الإسلام ويظهر ذلك جليا من اضطهاده للمسلمين في الحبشة فكان يرغمهم على الارتداد عن دينهم ومن يرفض منهم ذلك يطرد خارج البلاد أو يعذب

---

[١] حسن محمد جوهر ، الحبشة , مطبعة مصر ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص ١١٣.

[٢] Robinson, A., The Egyptian – Abyssinian War of ١٨٧٤-١٨٧٦, in : Journal of the Royal African Society , Vol. ٢٦, No. ١٠٣, April ١٩٢٧, p. ٢٦٥.

[٣] حسن محمد جوهر ، المرجع السابق ، ص ١١٥–١١٦.

[٤] أحمد صالح عمر ، المرجع السابق ، ص ١٩٢–١٩٣.

[٥] السيد رجب حراز ، الأصول التاريخية للمشكلة الإريترية ، ص ١٤.

وتسلب أمواله ، كما كان يعتقد أن المصريين ليس لهم أي حق في التواجد في السودان الشرقي وأن عليهم الانسحاب منه [١].

وكان إسماعيل يرى أن من واجب مصر دعم حقوق السيادة العثمانية المصرية على ساحل البحر الأحمر كخطوة ممهدة لامتداد الدولة المصرية إلى حدودها الطبيعية كما كان يراها والتي تمتد من ساحل البحر المتوسط شمالا إلى خط الاستواء ومنابع النيل جنوبا ومن سواحل البحر الأحمر والمحيط الهندي شرقا إلى وسط القارة الأفريقية إلى البحيرات الاستوائية . وكانت الخطوة الأولى لتحقيق تلك الخطة الكبرى التي عرفت بسياسة إسماعيل الأفريقية ، هي السعي لدي الباب العالي لضم سواكن ومصوع إلى الإدارة المصرية مرة أخرى [٢] ، بدوافع حفظ الأمن ومنع تجارة الرقيق ومواجهة التدخل الأجنبي في تلك المنطقة ومقاومة جماعات التنصير الأوروبية [٣].

وفي مايو ١٨٦٥ نجح إسماعيل في استصدار فرمان بضم مصوع وسواكن إلى مصر على الرغم من معارضة والي جده ، وفي العام التالي صدر فرمان الوراثة الذي منح إسماعيل حكومة وراثية في مصر وجميع الأراضي التابعة لها ومنها سواكن ومصوع وملحقاتهما والتي كانت تمتد على ساحل البحر الأحمر الغربي من رأس علبة شمالاً إلى رهيطة جنوباً عند مضيق باب المندب[٤].

وقد كلفت الحكومة المصرية جعفر مظهر حكمدار السودان بالقيام بجولة تفتيشية في ساحل البحر الأحمر الغربي بدأها في يوليو ١٨٦٧ ، زار خلالها أهم المراكز مثل أمفيلا وبيلول ورهيطة ، حيث قام بتوطيد نفوذ مصر هناك ، ثم نزل إلى عدن ومنها إلى شاطئ الصومال ، فزار بربره وزيلع وتاجورة ، وكان جعفر أينما حل يحث شيوخ القبائل على الاعتراف بسيادة مصر ويقوم بحل النزاعات بينهم وتوزيع الأموال والأعلام التي كان الأهالي المسلمون يعتبرونها رمزاً للإسلام ومظهرا لالتئامهم تحت السيادة المصرية ، وعندما عاد من جولته قدم تقريرا للحكومة المصرية أوضح فيه حقوق مصر التي لا تنازعها فيها أية دولة على الساحل الأفريقي من السويس إلى جردافوي ما عدا زيلع التابعة للدولة العثمانية[٥].

---

[١] علي عبده إبراهيم ، المرجع السابق ، ص ١٣١-١٣٢.

[٢] السيد رجب حراز ، الأصول التاريخية للمشكلة الإريترية ، ص ١٥.

[٣] شوقي عطا الله الجمل ، الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الأحمر (١٨٦٣-١٨٧٩) ، مطبعة لجنة البيان العربي ، القاهرة د.ت ، ص ٢٩.

[٤] السيد رجب حراز ، الأصول التاريخية للمشكلة الإريترية ، ص ١٥.

[٥] نفسه ، ١٦-١٧.

ولم تجد الدول الأوروبية التي أزعجها النشاط المصري المكثف في تلك المناطق سوى التذرع بأن الإدارة المصرية تغمض عينيها عن تجارة الرقيق التي يقوم بها أهالي مصوع بينما كان معظم من يقومون بتلك التجارة من الأحباش [١].

وكانت الحبشة هي الأخرى غير راغبة في رؤية الوجود المصري يتوسع إلى هذا الحد خاصة مع أطماع تيودور الذي يطالب بضم كل الأراضي الواقعة بين بلاده وبين مدينة سنار بالسودان تحت سلطانه [٢]، وهو ما كان يبدو واضحا من الاحتكاكات الدائمة بينه وبين حكمدار السودان ، مما جعل إسماعيل يصدر تعليماته للأخير بأن يتبع سياسة حازمة وقوية مع الأحباش مع تجنب الدخول في حروب معهم ، ومن ثم قام حكمدار السودان بالعديد من الحملات داخل حدود الحبشة لتأديب القبائل السودانية الهاربة فدمر العديد من القرى الحبشية مستغلا انشغال تيودور في قمع ثورات بعض الرؤوس الأحباش ضده [٣].

وكان من أسباب مخاوف تيودور من وجود مصر في المنطقة أن إسماعيل اعتزم ربط مصوع وكسلة بخط حديدي يمر بمدينة سنهيت (شمال مصوع وتسمى كرن وهي عاصمة إقليم البوغوص) وذلك لتسهيل المواصلات بين السودان والبحر الأحمر لتعمير شرق السودان ، وهي الأرض التي كان يعتبرها تيودور أرضا حبشية [٤].

وعلى الرغم من العلاقة المتوترة بين مصر والحبشة ، وإدراك إسماعيل لتخلف وتوحش الأحباش ، إلا أنه رفض طلب حسن رفعت حاكم مصوع المصري لإرسال جيش لغزو الحبشة وأخبره بأن الوقت غير مناسب وطلب منه استماله القبائل الحبشية إلى الإدارة المصرية ، وهو ما تم بالفعل حيث قبلت الإدارة المصرية إيواء الهاربين من الحبشة وبسطت حمايتها عليهم [٥].

وفي هذه الأثناء حدثت أزمة تيودور مع بريطانيا ، على أثر إلقاء القبض على القنصل البريطاني كاميرون وعددا أخر من الأوروبيين ، فما كان من بريطانيا إلا أن أعدت حملة عسكرية لتأديب الإمبراطور وإطلاق الأسرى وهي الحملة المعروفة بحملة نابير، وطلب إسماعيل من بريطانيا أن يتوسط بينها وبين تيودور لحل الأزمة ، وقام بإرسال عدة رسائل لتيودور يطالبه بإطلاق سراح الأسرى ويحذره من بريطانيا وأنه سوف يقدم المساعدة لها إذا لم ينفذ ذلك ، ولكن تيودور لم يستجب لتلك النداءات ، فقرر

---

[١] شوقي عطا الله الجمل ، الوثائق التاريخية لسياسة مصر في البحر الأحمر (١٨٦٣-١٨٧٩) ، ص ١٤٤-١٤٥.

[٢] احمد صالح عمر ، المرجع السابق ، ص ١٩٤.

[٣] شوقي عطا الله الجمل ، تاريخ سودان وادي النيل ، الجزء الثاني ،القاهرة ١٩٦٩ ، ص ٢٩٨-٢٩٩.

[٤] عبد الرحمن الرافعي ، المرجع السابق ، ص ١٤٩.

[٥] أحمد صالح عمر ، المرجع السابق ، ص ٩٤.

إسماعيل مساعدة بريطانيا فسمح لها بشراء احتياجات الحملة من مصر كما سمح لها باستئجار بواخر الشركة العزيزية – التي أنشأها في عام ١٨٦٣ للملاحة التجارية في البحرين الأحمر والمتوسط- لشحن معدات الحملة ومعداتها من السويس إلى زولا [١]. كما أمر حاكم مصوع بالسماح للحملة بالمرور إلى الحبشة وتقديم كافة التسهيلات لها [٢] ، ولكن هذا التعاون لم يمنع مصر من اتخاذ الإجراءات الوقائية لحماية مصالحها في هذه المنطقة ، فقد أرسلت تعزيزات عسكرية إلى مصوع ، كما أمرت موظفيها بمراقبة نشاط الحملة [٣]. وما أن تمكنت الحملة من هزيمة تيودور في موقعة مجدالا وانتحاره بعدها حتى انسحبت من الحبشة في سبتمبر ١٨٦٨ ، وكان أهم مكسب حققته مصر خلال تلك الأزمة هو التأكيد لبريطانيا عمليا على سيادتها وحقوقها على الساحل الغربي من البحر الأحمر [٤].

وفي أعقاب موت تيودور دار صراع على السلطة في أثيوبيا انتهى باستقرار الأمور ليوحنا الرابع، الذي كان على علاقة طيبة بمصر ، ولكن لم تلبث أن ساءت العلاقات بينهما مع تكرر غارات الأحباش على مديرية التاكة التابعة للإدارة المصرية في أوائل عام ١٨٧١ ، وزادت الأمور سوءا بعد أن رفض تيودور طلب إسماعيل إطلاق سراح الأسرى وتعويض الأهالي بزعم أن الأراضي التي تعرضت للهجوم أراضي حبشية [٥] ، وعلى الرغم من عدم رغبة إسماعيل في تصعيد الأمور حتى لا تتعطل مشاريعه التوسعية في أفريقيا ، إلا أنه أضطر إلى أن يأمر منزنجر Munzinger حاكم مصوع بمطاردة الأحباش الذين يعبرون الحدود والاستعداد لضم إقليم البوغوص الذي يتخذه الأحباش قاعدة للهجوم على الحدود السودانية [٦] ، ونجح منزنجر في يوليو ١٨٧٢ في الاستيلاء على إقليم البوغوض دون مقاومة ثم انسحب منه ، وهو ما أغضب يوحنا ، ولكنه عاد وعرض على مصر الاحتفاظ به في مقابل السماح للحبشة باستخدام ميناء مصوع للأغراض التجارية ، ولكن مصر رفضت ذلك وراحت تستعد لضم إقليم الحماسين ، فراح يوحنا يراسل الدول الأوروبية طلبا لمساعدته ضد مصر [٧] ، فأرسل

---

[١] السيد رجب حراز ، إريتريا الحديثة ١٥٥٧ – ١٩٤١ ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ١٩٧٤، ص ٤٧.

[٢] أحمد صالح عمر ، المرجع السابق ، ص ٩٤.

[٣] السيد رجب حراز ، إريتريا الحديثة ، ص ٤٧.

[٤] السيد رجب حراز ، الأصول التاريخية للمشكلة الإرتيرية ، ص ١٨.

[٥] السيد يوسف نصر ، الوجود المصري في أفريقيا في الفترة من ١٨٢٠ إلى ١٨٩٩ ، الطبعة الأولى ، دار المعارف ، ص ٢٠٧.

[٦] محمد لطفي جمعه ، بين الأسد الأفريقي والنمر الإيطالي ، مطبعة دار المعارف ، القاهرة ١٩٤٧ ، ص ٢٤.

[٧] شوقي عطا الله الجمل ، تاريخ سودان وادي النيل ، الجزء الثاني ، ص ٢٠٤.